الهُوية الإسلامية

موضوعنا اليوم عن {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٦٠) } [الأنفال: ٦٠، ٦١]

هذا أمر من الله تعالى لكل الأمة أن تجتمع وتتكاتف وتعد لأعداء الله ما استطاعوا من قوة إيمانية وعسكرية وعلمية واقتصادية وبشرية وغيرها من القوى التي ترهب منا أعداء الله وتعيد للأمة الإسلامية أمجادها.

وسوف نتوقف مع جانب واحد أرى أنه فيه جانب كبير من الخلل بل هو أساس ما نحن فيه من انهزامية وتسلط للعدو علينا

سوف أتوقف مع جانب من القوة الإيمانية وهو أساس لتحقق باقي الجوانب.

هذا الجانب فيه تقصير شديد من المجتمع الكبير والمجتمع الصغير كالمدرسة والأسرة والأب والأم وحتى من الأبناء .

أنه الهُوية الإسلامية

الهُوية هي: حقيقة الشيء أو حقيقة الشخص التي تميزه عن غيره.

فالهوية هي المفهوم الذي يكون عليه الفرد من فكره وسلوكه اللذين يصدران عنه، من حيث مرجعهما الاعتقادي والاجتماعي، وبهذه الهوية يتميز الفرد، ويكون له طابعه الخاص.

والإنسان يحمل ما نسميها ببطاقة الهوية أو البطاقة الشخصية التي فيها: اسم هذا الشخص، وأنه -مثلاً- مسلم، يعمل كذا، وسنه كذا، ومولود في كذا، ويعيش في بلدة كذا، وهكذا، وإن كانت البطاقة الشخصية تحتوي فقط على بعض البيانات المحددة. وقد تكون دون حقيقة هذا المضمون فيكون الشخص مسلم اسما وهو أبعد ما يكون عن تطبيق تعاليم الإسلام .

وكلما توافقت هوية الفرد مع هوية المجتمع كلما تعمق إحساسه بالانتماء لهذا المجتمع واعتزازه به، أما إذا تصادمتا فهناك تكون أزمة الهوية وأزمة الاغتراب، وإلى معناها أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء) وفي بعض الروايات (قيل: من الغرباء؟ فقال: أناس قليل في أناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم).

قضية الهوية قضية كبيرة وهي معترك الحروب بين الأمم إلا اننا سوف نتناول منا ما له علاقة بموضوعنا اليوم وهو جهاد العدو والإعداد له.

أولا- لابد وأن العقيدة الصحيحة هي الركن الأعظم للهوية الإسلامية

ويقول الله سبحانه وتعالى مبيناً أنه لا أحسن ولا أكمل من الهوية الإسلامية: {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا} [النساء:١٢٥]،

لقد عاشوا في الحبشة سنين لكن ماذا كانوا يفعلون؟ هل ذهبوا في المجتمع الحبشي؟ هل ذهبوا في ذلك الدين النصراني المسيطر هناك؟

كلا.

بل لقد دعوا ملكهم إلى الإسلام فأسلم، أسلم النجاشي، وأسلم بعض من معه، وبقيت الأكثرية على الكفر.

لقد كان الصحابة في غاية المحافظة على أنفسهم وهم جالية لم يذوبوا، ولما رجعوا إلى الرسول ?صاروا يقصون عليه ما رأوا ليصحح لهم، ويبين الأحكام، فتقول له المرأة المسلمة عن كنيسة بأرض الحبشة رأت فيها تصاوير، صور لمريم وعيسى، والنبي ? يصحح: فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة [رواه البخاري: ٤٢٧، ومسلم: ٥٢٨] هؤلاء الذين صوروا صور الصالحين في كنائسهم ووضعوها، صوروا الأنبياء في كنائسهم وعبدوهم من دون الله، وعظموهم، ورفعوهم فوق المنزلة التي أنزلهم الله إياها.

كان المسلمون يدخلون البلاد يرون مراحيض باتجاه القبلة، يقولون: "كنا ننحرف ونستغفر الله" [رواه البخاري: ٣٩٤، ومسلم: ٢٦٤].

لقد انفتح أجدادنا لكن كيف تعاملوا مع الموقف؟

يقول الواحد منهم للثاني ناصحاً: إنك بأرض الربا فيها فاشٍ فلا تفعل كذا، ولا كذا، ولا كذا.. يحذره، هذه منطقة فيها ربا منتشر فاحذر من معاملات معينة توقع في الربا.

عندما انفتحوا على تلك الديار هناك أشياء طيبة أخذوها واستفادوا منها، وسنضرب أمثلة، وهنالك أشياء سيئة حاربوها وأنكروها، وقضوا على ما يمكن القضاء عليه منها.

لما فتح الصحابة تلك البلاد وجدوا فيها حمامات عامة استعملوها لكن لم يدخلوا نسائهم فيها؛ لأن عندهم نصوص من النبي ? من كان يؤمن بالله اليوم الآخر لا يدخل حليلته الحمام [رواه الترمذي: ٢٨٠١، وأحمد: ١٤٦٥١، وقال محققو المسند: "حسن لغيره"] لكثرة ما يحصل في الحمامات من انكشاف العورات أو الاختلاط، ولذلك نهى عن إدخال النساء إليها.

@@ الآن نحن غالنا تخلي عن هذه الهوية في حين أن العدو يحارب عن عقيدة.

@تمسك اليهود بهويتهم الدينية

اللغة العبرية التي انقرضت من ألفي سنة بعثوها من مرقدها، حتى صاروا يتعاملون بها، ولم يقل لهم أحد: إن العبرية لها مدة ألفي سنة منقرضة، ولن تتسامى إلى العلم الحديث، كما يزعم المستشرقون في شأن اللغة العربية الآن، واليهود يدرسون بالعبرية الطيران والصواريخ وكل العلوم، مع أنها لغة ميتة، فمنذ ألفي سنة انقرضت العبرية، ولكنهم بعثوها من مرقدها، وألفوا بها أدباً نالوا به ما يسمى " بجائزة نوبل ".

وعندما أراد اليهود إقامة سفارة لهم في القاهرة أصروا على أن يكون موقعها على الجهة الغربية من النيل، ولم يرضوا أن يكون لهم أي مبنى على الجهة الشرقية؛ احتراماً لعقيدتهم في أن حدود إسرائيل الكبرى تنتهي عند الجهة الشرقية من نهر النيل.

وعلم دولتهم فيه خطان أزرقان إشارة إلى النيل والفرات، ومنطقة السيادة بينهما عليها النجمة السداسية المسماة بنجمة داود.

ما هي المبادئ التي يسير عليها اليهود تجاه القضية الفلسطينية:
أولا - زعمهم أن لَهُم حَقًا تاريخياً ودينياً فِي فلسطين
يَدعِي الْيَهُود أَن لَهُم حقوقاً تاريخية فِي فلسطين لِأَن أجدادهم سكنوها فَتْرَة من الزَّمن وَيَدعِي الْيَهُود أَيْضا أَن لَهُم حَقًا دينياً على مَا جَاءَ فِي كتبهمْ المقدسة لديهم أَن الله وعدهم بامتلاك (أَرض كنعان) فلسطين وَمَا جاورها (من النّيل إِلَى الْفُرَات) وَهِي أَرض الميعاد لتَكون لَهُم ملكا ووطناً ويستدلون على ذَلِك بِمَا ورد فِي التَّوْرَاة أَن ذَلِك الْوَعْد كَانَ مَعَ أَبِيهِم إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام

فَأَما بِالنِّسْبَةِ لزعمهم بِالْحَقِّ التاريخي فنبين بُطْلَانه بالآتي:
١ - أَن من الثَّابِت تأريخياً وجود الْقَبَائِل الْعَرَبيَّة من الكنعانين والفينقيين فِي فلسطين قبل ظُهُور الْيَهُود بآلاف السنوات، وَلم يَنْقَطِع وجود الْعَرَب واستمرارهم فِي فلسطين إِلَى يَوْمنَا بِخِلَاف الْيَهُود

كَانَت مُدَّة بَقَاء بني إِسْرَائِيل فِي فلسطين لَا تزيد عَن ثَلَاثَة قُرُون وَنصف قرن - وَبَعض المؤرخين يرى أَنَّهَا تبلغ خَمْسَة قُرُون - فَهَل الْمدَّة الَّتِي مكثوها فِي فلسطين كَافِيَة فِي إِثْبَات حَقهم مُقَابل وجود الْعَرَب فِي فلسطين من قبلهم وبعدهم لمئات الْقُرُون؟!!

وَأما بِالنِّسْبَةِ للحق الديني والوعد الإلهي لإِبْرَاهِيم عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام وانتسابهم إِلَيْهِ دينياً فَهُوَ بَاطِل من وُجُوه عديدة نذْكر مِنْهَا مَا يَأْتِي: -

بَين لنا الْقُرْآن الْكَرِيم بطلَان انتساب الْيَهُود إِلَى إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام دينياً فَقَالَ عز وَجل: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ}.

وَقَالَ عز وَجل: {أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}.

وعَلى فرض التَّسْلِيم لَهُم - جدلاً - صِحَة مَا استدلوا بِهِ على الْوَعْد الإلهي من كتبهمْ، فَإنَّا نقُول إن الْوَعْد الإلهي قد أعطي لإِبْرَاهِيم أَولا عِنْد وُصُوله أَرض كنعان وَلم يُولد لَهُ ولد حِينَئِذٍ (تكوين ٧/١٢) ، وتكرر الْوَعْد حِين رُجُوعه إِلَى أَرض كنعان من مصر (تكوين ١٥/١٣) ، ثمَّ تكَرر الْوَعْد وَلم يكن لإِبْرَاهِيم ولد (تكوين ١٨/١٥) ، ثمَّ تكَرر الْوَعْد لإِبْرَاهِيم بعد أَن ولد لَهُ إِسْمَاعِيل عَلَيْهِمَا الصَّلَاة وَالسَّلَام (تكوين ٨/١٧) .

بِنَاء على ذَلِك فالوعد الإلهي من حق إِسْمَاعِيل عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام جدُّ الْعَرَب وَالْمُسْلِمين دون غَيره، لِأَن إِسْحَاق الابْن الثَّانِي لإِبْرَاهِيم عَلَيْهِمَا الصَّلَاة وَالسَّلَام لم يُولد بعد

فَإِن قيل: بِأَن الْوَعْد الإلهي لَهُم بِالْأَرْضِ المقدسة إرثٌ وموطنٌ أبديٌ قد ذكر فِي الْقُرْآن الْكَرِيم فِي قَوْله تَعَالَى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ} ٤.

فَالْجَوَاب

@ الرد على اليهود في دعواهم أن الأرض المقدسة- فلسطين- ملك لهم مستندين إلى قوله- تبارك وتعالى-: ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ

للمفسرين أقوال في المراد من الكتابة في قوله-تبارك وتعالى- ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ أشهرها قولان:أولهما: أن معنى كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ: أمركم بدخولها، وفرضه عليكم كما أمركم بالصلاة والزكاة فالكتب هنا مثله في قوله-تبارك وتعالى- كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ: أى: فرض عليكم وهذا قول قتادة والسدى والثاني: أن معنى كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ قدرها لكم وقضى أن تكون مساكن لكم دون الجبارين.

وهذا القضاء مشروط بالإيمان، وطاعة الأنبياء، والجهاد في سبيل نصرة الحق، فإذا لم يكونوا كذلك- وهم لم يكونوا كذلك فعلا- لم يتحقق لهم التمكين في الأرض المقدسة، ولذا بعد أن أغراهم نبيهم موسى- عليه السلام- بدخولها، حذرهم من الجبن والعصيان فقال لهم: وَلا تَرْتَدُّوا عَلى أَدْبارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خاسِرِينَ.

قال الآلوسى: "وترتيب الخيبة والخسران على الارتداد يدل على اشتراط الكتب بالمجاهدة المترتبة على الإيمان قطعا".

وقال ابن عباس: كانت هبة من الله لهم ثم حرمها- سبحانه - عليهم بشؤم تمردهم وعصيانهم.

وقال الفخر الرازي: إن الوعد بقوله كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ مشروط بقيد الطاعة فلما لم يوجد الشرط لا جرم لم يوجد المشروط".

والخلاصة أن الكتابة في قوله-تبارك وتعالى- كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ: إما أن تكون تكليفية على معنى: أن الله-تبارك وتعالى- كتب عليكم وفرض أن تدخلوها مجاهدين مطيعين لنبيكم فإذا خالفتم ذلك حقت عليكم العقوبة.

وإما أن تكون كتابة قدرية.

أى: قضى وقدر- سبحانه - أن تكون لكم متى آمنتم وأطعتم.

وبنو إسرائيل ما آمنوا وما أطاعوا، بل كفروا وعصوا فحرمها- سبحانه - عليهم.

وبذلك ترى أن دعوى اليهود بأن الأرض المقدسة ملك لهم، بدليل قوله-تبارك وتعالى- كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ لا أساس لها من الصحة ولا يشهد لها عقل أو نقل.

ثانيا- زعمهم بِأَنَّهُم شعب الله الْمُخْتَار.
إن الشُّعُور بالاستعلاء والاستكبار على جَمِيع الْخلق دَاء عضال ومزمن عِنْد الْأمة الْيَهُودِيَّة ذكره الْقُرْآن الْكَرِيم عَنْهُم فِي آيَات كَثِيرَة وتزخر بِهِ نُصُوص كتبهمْ المقدسة لديهم وَمِنْهَا مَا ورد فِي توراتهم المحرفة "أَنْتُم أَوْلَاد للرب إِلَهكُم ... لِأَنَّك شعب مقدس للرب إلهك، وَقد اختارك الرب لكَي تكون لَهُ شعبًا خَاصًّا فَوق جَمِيع الشعوب الَّذين على وَجه الأَرْض".

لقد بيّن الْقُرْآن الْكَرِيم بطلَان زعمهم بالأدلة الْوَاضِحَة الدامغة فَقَالَ تَعَالَى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ}.

بَيَّن الله عز وَجل بطلَان اصل الادعاء، وبيّن لَهُم مَا هُوَ الْحق من أمرهم فَقَالَ تَعَالَى: {بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ} أَي لَيْسَ الْأَمر كَمَا زعمتم أَيهَا الْيَهُود، بل الْحق أَنكُمْ كَسَائِر الْبشر من خلق الله إِن آمنتم وأصلحتم أَعمالكُم نلتم الثَّوَاب، وَإِن بَقِيتُمْ على كفركم وجحودكم نلتم الْعقَاب، لَا فضل لأحد على أحد عِنْد الله إِلَّا بِالْإِيمَان وَالْعَمَل الصَّالح٤.

وتحداهم الله عز وَجل فِي الْقُرْآن الْكَرِيم لإِظْهَار كذبهمْ بقوله تَعَالَى: {قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}.
وَبِقَوْلِهِ تَعَالَى: {قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ}.

ثالثا قولهم : { لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ }:
{ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [سورة آل عمران: ٧٥]

من أهل الكتاب فريقا إن تأتمنه على الكثير والنفيس من الأموال يؤده إليك عند طلبه كاملا غير منقوص، وإن منهم فريقا آخر إن تأتمنه على القليل والحقير من حطام الدنيا يستحله ويجحده ولا يؤديه إليك إلا إذا داوم صاحب الحق على المطالبة بحقه واستعمل كل الوسائل في الحصول عليه.
فالآية الكريمة قد مدحت من يستحق المدح من أهل الكتاب وهو الفريق الذي استجاب للحق وآمن بالنبي صلّى الله عليه وسلّم كعبد الله بن سلام وأمثاله من مؤمنى أهل الكتاب.
وذمت من يستحق الذم منهم وهو الفريق الذي لا يؤدى الأمانة، ولم يستجب للحق، بل استمر على كفره وجحوده، وهذا القسم يمثل أكثرية أهل الكتاب.
والمراد من ذكر القنطار والدينار هنا العدد الكثير والعدد القليل.

ثم حكى- سبحانه - بعض الأسباب التي جعلتهم يبررون خيانتهم وجحودهم لحقوق غيرهم فقال-تبارك وتعالى-: ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قالُوا لَيْسَ عَلَيْنا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ.
وقوله ذلِكَ إشارة إلى ترك الأداء المدلول عليه بقوله- سبحانه - لا يُؤَدِّهِ.

والمراد بالأميين: العرب، خصوصا من آمن منهم، وسمى العرب بالأميين نسبة إلى الأم، وذلك لغلبة الأمية عليهم لكأن الواحد منهم قد بقي على الحالة التي ولدتهم عليها أمهاتهم من عدم القراءة والكتابة.

والسبيل: المراد به: الحجة الملزمة والحرج.

سببه زعمهم الباطل أنهم ليس عليهم حرج أو إثم أو تبعة في استحلال أموال العرب الأميين واستلابها منهم بأية طريقة، لأن الأميين ليسوا على ملتهم.

واليهود يزعمون أن كتابهم يحل لهم قتل من خالفهم، كما يحل لهم أخذا ما له بأى وسيلة.

وهذا الخلق الذميم معرق في اليهود، لأن أنانيتهم جعلتهم يحرفون كتبهم على حسب ما تهوى نفوسهم، فقد كانت التوراة تحرم الربا تحريما مطلقا فتقول: «لا تأخذ ربا من أخيك إذا أقرضته» فحرف اليهود هذا النص: إذ زادوا فيه كلمة الإسرائيلي فأصبح النص هكذا «لا تأخذ ربا من أخيك الإسرائيلى إذا أقرضته» وبذلك أصبحوا يحرمون الربا عند تعاملهم مع أنفسهم ويحلونه عند تعاملهم مع غيرهم

@ واقعنا وواقع شبابنا المرير:

حينما أراد الشاعر محمد إقبال أن يبين أثر تخلي المرء عن هويته وعن عقيدته ضرب هذا المثل فقال: كانت مجموعة من الكباش تعيش في مرعىً وفير الكلأ عيشاً رغيداً، ولكنها أصيبت بمجموعة من الأسود نزلت بأرض قريبة منها، فكانت تعتدي عليها وتفترس الكثير منها، فخطر ببال كبش كبير منها أن يتخذ وسيلة تريح من هذا الخطر الداهم الذي يهددها، فرأى أن استخدام السياسة والدهاء والحيلة هو الوسيلة الوحيدة، فظل يتوسد إلى هذه الأسود في مكانها حتى ألفته وألفها، فاستغل هذه الألفة، وبدأ يعرض الأسود ويدعوها إلى الكف عن إراقة الدماء والعيش في سلام وأمان ودعة وإلى أن تترك أكل اللحم، وأخذ يغريها بأن تارك أكل اللحم مقبول عند الله، وأخذ يزين لها الحياة في دعة وسكون، ويقبح لها الوثب والاعتداء، حتى

بدأت الأسود تميل إلى هذا الكلام، فأخذت الأسود تتباطأ في افتراس الكباش، ومالت إلى حياة الدعة والهدوء، واكتفت بأكل الأعشاب كما تفعل الكباش، فكانت النتيجة أن استرخت عضلاتها، وتثلمت أسنانها، وتقصفت أظفارها، وأصبحت لا تقوى على الجري، ولم تعد قادرة على الافتراس، وبذلك تحولت الأسود إلى أغنام؛ لأنها تخلت عن هويتها وعن خصائصها ففقدت ذاتيتها، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: (ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا).

فالذي كان يفعله هذا الكبش هو الذي فعله الكثير من المستشرقين حيث كانوا يلقون الشبهة على المسلمين، وهم يعرفون عقدة النقص والانهزامية عند بعض المسلمين والمفكرين، ونتيجة العقدة في النفس والشعور بالدونية عند بعض المنهزمين هي أنهم أصبحوا يردون بأن الإسلام دين لا يعرف الجهاد، ولا يعرف كذا وكذا، وآخر يوم يوضع الإسلام في قفص الاتهام، ويوظف الغرب نفسه محامياً ليبرئه من هذه التهم، وبالتالي بدأ طمس مفاهيم الإسلام شيئاً فشيئاً من خلال هذه الحيل الماكرة، حتى وصلت محاولات طمس الهوية

الإسلامية إلى حد أن نظرت إلى شاب وهو يسير أمامك في الطريق غالبهم يرتدي بنطالا قصيرا تقليدا للكفار ومخالفة للنبي صلى الله عليه وسلم

ويحلق رأسه بالقزع الذي نهى عنه النبي

ويضع في يده الأساور من جلد أو غيره وفي عنقه القلادة تشبها بالنساء

ويضع في أذنيه السماعات ويمشي يتمايل ولا يرى إلا نفسه.

وإن نظرت في يده لوجدت الدخان وإن قمت بعمل تحليل له فلوجدت غالبعم يتعاطى المخدرات.

وإن تكلمت معه لم تجد إلا معرفته التامة بالممثلين وأسماء لاعبي الكرة ولو سألته عن العشرة المبشرين الجنة أو الخلفاء الراشدين او عن شيء من القرآن لتلعثم ولم يدر جوابا.

وإن سألته عن ثقافته ومن اين يحصل معلوماته لأشار للهاتف ووسائل التواصل الاجتماعي

وغالبهم لا يصلون ويجهلون أبسط أمور دينهم

وهذه المسئولية تقع أولا على عاتق ولي الآباء فهو رعاة ومسئولون عن رعيتهم أضيع أم حفظ.

أمثال هؤلاء تربوا على طمس الهوية الإسلامية وعلى الأفكار التغريبية لا يغرفون معنى للإسلام والتميز إلا ما هو مدون في هويتهم الشخصية.

أمثال هؤلاء كيف يتثنى لنا مخاطبتهم عن الجهاد والتضحية بالنفس كيف نحدثهم عن الإسلام وهو لا هم لهم إلا الأفكار العلمانية والتغريبية.

@@

سد الثغرات التي يأتي منها الشر

فأما قضية سد الثغرة التي يأتي منها الشر وإغلاق منافذ الشر فهو أمر في غاية الأهمية، قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: "وللشريعة أسرار في سد الفساد وحسم مادة الشر لعلم الشارع ما جلبت عليه النفوس وبما يخفى على الناس من خفي هداها الذي لا يزال يسري فيها" [الفتاوى الكبرى: ٦/١٧٤].

وذكر رحمه الله -تعالى- أمثلة على قضية سد الذرائع كما ذكرها علماء الأصول، يأتي اليوم من هؤلاء المنافقين من يقول: من الذي قال: سد الذرائع؟ ما في شيء اسمه سد الذرائع.

لماذا؟

لأنه يخالف أهواءهم، لا يستطيعون أن ينشروا باطلهم عبره.

وفتاوى كثيرة مبنية على سد الذرائع، طبعاً سد الذرائع وسط بين طرفين، ومنهم من قال: يفتح الباب تماماً ولو تبيع الخمر! ومنهم من قال: يسد الباب تماماً ونمنع زراعة العنب!

والحق وسط بينهما في مسألة سد الذرائع، فإذا كان السبب للحرام قويا سُد بابه، وإذا كان احتماله ضعيفاً فلا يصح سد الباب؛ لأن فيه تحريم ما أحل الله.

ولذلك عندما يطغى الشر على الخير ويصير الاحتمال الأغلب والظن الأغلب أن يحدث الشر يسد الباب، هذا هو المسلم الوسط في مسألة سد الذرائع وهي قضية في غاية الأهمية.

ثم استعمال عامل الحسم في الموضوع والحزم أيضاً، النبي ? لما رأى ستراً فيه تماثيل هتكه [رواه البخاري: ٥٩٥٤، ومسلم: ٢١٠٧]، لما رأى تصاليب نقضها، لما فُعل منكر أمامه أنكره، قاومه، لم يرض به.

إن موسى لما رأى العجل لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا [طه: ٩٧] برد بالمبارد، وذرّ في يوم عاصف، وفي البحر حتى لا يستطيع أحد أن يجمع ذراته مرة أخرى.

وأيضاً فإن تنمية روح العزة بهذا الدين ومحاربة الانهزامية وعقدة النقص مهم، هذه من الأساليب المهمة في مواجهة الانفتاحات التي تحدث الآن، قال عمر -رضي الله عنه-: "نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله" [المستدرك للحاكم: ١/١٣٠، رقم: ٢٠٧].

ولا بد أن نحافظ على هويتنا، على هذه الشخصية الإسلامية بعقيدتها، وعبادتها، ولغتها، ولباسها، وعاداتها، وأدبها، وأخلاقها.

إذا كانت المعركة محتدمة في مقاطعة كويبيك في كندا بين المتحدثين بالإنجليزية والفرنسية؛ لأن هؤلاء المتحدثون بالفرنسية يريدون استقلال المقاطعة.

وعندما ترفض فرنسا التوقيع على الجزء الثقافي من اتفاقية الجات؛ لأنهم يرون في ذلك تهديداً صارخاً لهويتهم القومية، فنحن أولى بهذا اليوم في عصر الجات، وفي عصر دبليو تي أو، وتي أو دبليو، وكل الحروب الأخرى.

وأيضاً فإن أجيال المسلمين لا بد أن تؤسس على المنهج العلمي الصحيح الذي فيه البصيرة والدليل؛ لأن هذا هو الذي يضمن منع تسرب الأشياء الضارة، قال تعالى: وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ [السجدة: ٢٤] فدل على أنه بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين، لا بد أن ننشر العلم الشرعي الذي به يطاع الله ويعبد، ويوحد عز وجل، وتوصل الأرحام، ويعرف الحلال من الحرام، دراسته تسبيح، وتعلمه حسنة، والبحث عنه جهاد، وبذله لأهله قربة، فهو الأنس في الوحدة، والصاحب في الغربة، والدليل في الظلمة، والنصر على الأعداء.

لا بد أيضاً في مواجهة هذا الانفتاح من الالتفاف على العلماء وطلبة العلم الذين يسيرون على منهج السلف، أهل البصيرة، وأهل الفكر الذين ذكرهم الله -عز وجل-، أهل الحق الذين يتبعون الأدلة من القرآن والسنة على فهم السلف، هؤلاء ينبغي أن نأخذ عنهم، ينبغي أن نتصل بهم، ينبغي أن نستفتيهم، ينبغي أن نشد من أزرهم.

وأيضاً لا بد من إحياء دور المساجد، والرجوع إليها؛ فإنها تجذب المسلم دائماً إلى الأصل، ومهما احتوشت الشياطين هذا المسلم إذا رجع إلى بيت الله فإنه لن يعدم خيراً، إذا حيرته مسألة أو تكالبت عليه الشهوات، أو حاول أهل المعاصي اختطافه فإن بيت الله ينقذه.

وكذلك ينبغي الجد في الأخذ بأحكام الإسلام: خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ [الأعراف: ١٧١] حتى نثبت على الدين في وسط هذا الانفتاح.

وأيضاً لا مساومة على أحكام الإسلام، ولا لتقديم أي تنازلات في هذا الأمر، ينبغي أن نأخذ الإسلام كله، وأن نحتكم إلى هذه الشريعة، وأن نشغل الوقت بما ينفع.

وأيضاً فلا بد من استثمار الوسائل الحديثة التي استغلها الكفار والفجار والمنافقون، وأهل الشر في نشر الشر، أن نزاحم فيها بالخير، برامج، نفتح القنوات، نؤسس المجلات، نقيم المواقع المفيدة، والهجوم هو خير وسيلة للدفاع، ولنعلم بأن الانكفاء والعزلة لن يفيدنا، لا بد أن نهاجم نحن، لا بد أن نخترق نحن، لا بد أن ننهج منهج آباءنا الفاتحين الذين فتحوا البلدان، وإذا كنا عاجزين اليوم عن فتحها بالسيف والحديد الذي أنزله الله، فينبغي أن نعمل على فتحها بالقرآن كما فتحت المدينة النبوية، وعلى استثمار الإعلام في فتح البلدان بالإعلام الإسلامي.

إن إقامة الأسرة وتنشئتها على كتاب الله وسنة نبيه ? لهو من أمثل الحلول في مواجهة هذا الشر القادم، لا بد أن يكون عندنا من الآباء والأمهات والأبناء والبنات الذكور والإناث والأقارب من يتكاتف لإقامة شرع الله داخل البيت المسلم.

وإن التضييق على دعاة الضلالة ومحاربة هؤلاء والرد عليهم، ولا بد أن يتعاضد المسلمون في الرد، لا يجوز أن نرى أهل الباطل يتكلمون ونحن نسكت، لا يجوز أن نراهم يكتبون ونحن نكف، لا يجوز أن نراهم يتصدرون ونحن ننغلق ونتقوقع على أنفسنا، لا بد أن نتصدى لهم، أن نحضر في الأماكن التي يحضر فيها وأن نرد عليهم، لا بد من إعداد الردود، ومن إعداد الأشخاص الذين يتكلمون وكيف يتكلمون.

وإذا حاول أعداء الإسلام أن يسبقونا إلى المرأة لكي يقولوا: إنهم أنصار المرأة! وإنهم يريدون رفع الضر عن المرأة! فنحن يجب أن نسبق إلى حقل المرأة قبلهم ذكوراً وإناثاً لنبين أننا نحن أهل المنهج الصحيح في قضية المرأة، أن نقدم كل الوسائل التي تؤدي إلى أن تكون هذه المرأة تسير على المنهج الصحيح، وإذا رأينا ظلماً على المرأة فنسابق إلى رفعه.